بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد؛

ففي هذه النسائم الإيمانية نقف معكم وقفة في معنى عظيم، وهي أن الإنسان لا ينسى فضل الله عليه، فالمؤمن العاقل يعلم أن ما أعطاه الله إياه في هذه الدنيا من الله، فالرزق من عنده والمال من عنده والقوة من عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو بفضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إما اختبارا يختبر الله به الإنسان، فمن أطاعه وشكر نعمَه دامت هذه النعم، ومن عصاه وجحد نعمه زالت هذه النعم.

وقد ضرب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنا مثلًا عظيمًا في القرآن وحوارًا جميلًا بين من اغتر بالنعمة، ونسي فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حتى يتدبر العاقل ويتفكر ما عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيؤدي حقه، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة الكهف [٣٢-٤٤] في ذلك الحوار الجميل: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ ﴾ كافر ومؤمن ﴿ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ ﴾ وهو الكافر جعل الله له جنتين ﴿ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ يعني هذه البساتين كانت بساتين مثمرة جميلة ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا ﴾ فيها من الثمر الشيء العظيم ﴿ وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ﴾ أي لم ينقص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه شيء من ثمرها وزد على ذلك قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴾ أنهار تجري تحت هذه الجنان والبساتين ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ ﴾ مستمر دائم ﴿ فَقَالَ ﴾ هذا الذي هو صاحب الجنتين ﴿ لِصَٰحِبِهِۦ ﴾ المؤمن الفقير ﴿ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾ على طريقة التجبر والتفاخر والغرور مستهزءًا به متفاخرًا بما عنده ﴿ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ

نَفَرًا ﴾، لاحظ الموقف الذي يؤلم قلب الفقير، كيف عامله هذا الغني بهذا الأسلوب الاستحقاري، يفاخره بذلك المال وبتلك العشيرة وهذا من فضل الله عليه لكن هو يظنه أنه قد أوتيه بقوته وجبروته ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ ﴾ دخل هذا الكافر هذه الجنة وأدخل معه المؤمن الفقير صاحبه وكان في حال دخوله هذه الجنة ﴿ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ بالكفر والتكبر والتفاخر والعجب، فقال من شدة غروره: ﴿ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ يعني هذه الجنان التي عندي يستحيل أنها تبيد وتفنى وتزول، لا ويقول أيضًا: ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾ ليس هناك بعث ورجوع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ ﴾ يعني لو فرضنا على حسب وزعمك أنت أيها المؤمن أننا سنرجع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿ لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ لاحظ الغرور وسوء الاعتقاد أين أوصله ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾ وهو يحاوره بأسلوب لطيف وجميل ﴿ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾ أينسى الإنسان أن يكون ترابا وإذا نسي أن كان ترابا وخلق أصله من تراب أنسيت أن كنت نطفة قال ﴿ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ ماء حقير ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰكَ ﴾ وعدلك وصورك وجملك وجعلك ﴿ رَجُلًا ﴾ أتنسى هذا كله؟ وتنكر البعث وتتجبر قال هذا المؤمن: ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ فلاحظ الثبات في هذا الموقف، لاحظ قيمة التوحيد والعقيدة الصحيحة في فتنة هذه الدنيا مع ما أنت فيه ومع ما أنا فيه من فقر لكني مؤمن بالله موحد له مقر بأنه ربي خالقي ورازقي ولا أشرك به أحدا مهما كان، فلا تصرف ولا أصرف عبادة لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ثم قال له موجها: ﴿ وَلَوْلَآ ﴾ أي

هلا ﴿ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ ﴾ عند إعجابك بها ﴿ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ هذه ليست بقوتك ولا بحولك، وإنما من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال: ﴿ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ فلاحظ هنا الدنيا مع المعصية والتكبر والشرك بالله، وهنا لا دنيا عند المؤمن لكن عنده توحيد الله جَلَّ وَعَلَا، فدعا قال: ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا ﴾ صواعق ﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ أرض ملساء لا تثبت عليها قدم ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا ﴾ الماء لا يثبت فيها يغور في أرضها ويتسرب ﴿ فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴾ إن ابتليت بهذا الابتلاء فمن ينجيك؟ ومن الذي يدفع تلك الصواعق ومن الذي سيأتي لك بهذا الماء؟ ارجع واتق وخف، لكنه أبى حتى وقع ما كان يخشاه قال: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ ﴾ يعني أتى ورأى ثمره قد هلك ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ ﴾ ندمًا وحسرة على ما رآه ﴿ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا ﴾ في عمارة جنته كم صرف عليها وكم تعب عليها أتاها هذا الإعصار فدمرها وأذهبها، فرآها خاوية ساقطة لا ثمر ولا شجر على عروشها ويقول متحسرًا ﴿ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ ندم عظيم أن أوصله شركه لئن خسر هذه الدنيا مع خسارته للآخرة ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾ من ينصره من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا ﴾ هو خير من يعطي الثواب ﴿ وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ أي خيرا عاقبة لأهل الإيمان، فمهما طال الزمان فالعاقبة لأهل الإيمان، هذه القصة فيها عدة فوائد:

الفائدة الأولى: ليس العطاء الدنيوي دليل على الإكرام، كما أن المنع من الدنيا ليس دليل الإهانة كما قال الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ [الفجر:١٥-١٧]، ليس هذا المعيار إذا أعطي الإنسان فهو مقرب إلى الله، وإذا لم يعطى فهو بعيد عن الله، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعطي الدنيا لمن أحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب، فليس القياس العطاء وإنما القياس الحقيقي عطاء الرزق العظيم وهو الإيمان والعمل الصالح.

الفائدة الثانية: أن الإنسان لا يظن أن ما عنده من الدنيا بقوته وجهده، نعم هو يفعل السبب لكن لا بد أن يعرف أن هذا سبب قد يحصل وقد لا يحصل، فهذا السبب لا يجعله يغتر، لا يجعله ينسى فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا يجعله ينسى منّة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه، فالعطاء من عنده والرزق من عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات:٥٨].

الفائدة الثالثة: أن من مَنّ الله عليه بالمال والخيرات لا يتكبر ولا يستحقر الآخرين، ولا يكسر قلوب الفقراء والمساكين، بل من زاده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فضلًا، وزاده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مالًا وزاده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جاهًا، ينبغي عليه بل يجب عليه أن يكون أكثر تواضعًا، وأكثر عطاء ورحمة، وأكثر نفعًا للفقراء والمساكين، أما أن يعطى المال والخير ويتكبر فهذه في الحقيقة نعمة حولها إلى نقمة.

الفائدة الرابعة: أن الخلل العقدي يترتب عليه خلل عملي وأخلاقي، هذا مهم جدًا، ضعف الإنسان باليوم الآخر يجعله يظن أن هذه الدنيا لا تفنى ولا تبيد، فينسى الموت الذي هو يقين وينسى حقيقته أو يتناساها وهو لا بد أن يرد ويشرب من ذلك الكأس.

الفائدة الخامسة: أن توحيد الله أعظم نعمة، وأجل

قيمة وأن الشرك بالله أشدُّ مصيبة، وأعظم ذنب، فالإنسان مع توحيد الله غني، الإنسان مع توحيد الله قوي، الإنسان مع توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سعيد، أما الإنسان بلا توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذليل فقير في الحقيقة وضيع منكسر وإن كان ظاهره الغنى لكنه في الحقيقة مآله إلى الانهيار والانكسار.

الفائدة السادسة: أنه إذا فات الفوت لا ينفع الصوت، الدنيا حفظكم الله لا تدوم لأحد، فإذا فاتت وانهارت وقد نسي العبد ربه وطاعته الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيكون قد خسر خسارتين: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج:١١]، أهل الدنيا الذين هم متوغلون فيها، وينسون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ينسون طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ينسون العطاء الذي يجب أن يعطونه للفقراء والمساكين، ليس كل من كان عنده مال فهو مذموم لا، بعض الصحابة كانوا أغنياء وعندهم من المال الشيء الكثير، لكن كانوا من أهل الآخرة لم يكونوا من أهل الدنيا صاحب الدنيا يغتر بها، فيراها وقد أخضرت فتحلو في نظره، ثم تهيج فيراها مصفرة ثم تكون حطامًا، فالإنسان ينبغي عليه حفظكم الله أن يعتبر بمثل هذه القصص حيث أنه بعد تلك الجنات ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾.

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يحفظنا وإياكم، وأن يبارك لنا ولكم في أموالنا وأولادنا وزوجاتنا، ونسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يغفر لآبائنا وأمهاتنا، وأن يحفظ بلادنا وأن يوفق أمرنا لكل خير، وصلى الله على نبينا محمّد.

سلسلة مطويات شبكة بينونة

لا تنس فضل الله ولا تغتر بنعمة الله

الشيخ
د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE